المحاضرة رقم 1 في المناهج النقدية ماستر 1 س2؛

المنهج النقدي المعاصر (حدود ومعارف)

لقد شهد الخطاب النقدي العربي المعاصر هزات وتحولات عميقة في العقود الأخيرة من القرن 20؛ وذلك بما أحدثته المناهج السياقية والنصانية التي وفدت إليه من الغرب، ليقبل الباحثون والنقاد على تباحثها واستعمالها بمختلف قضاياها وأجرأتها في قراءة واستنطاق النصوص العربية قديمها وحديثها، وقد كان المنهج السيميائي من أهم المناهج التي شكّلت بعدا تثاقفيا نقديا بين الغرب والعرب. وكانت النصوص الشعرية قديمها بخاصة من القضايا النقدية التحليلية التي خاض فيها النقاد المحدثون، وتأثروا بها بشكل أو بآخر، وذلك باعتبار النص الشعري أول عتبة نصوصية تقابل المتلقي العربي والناقد على الخصوص. ومن هنا تولد اهتمام النقد العربي المعاصر بالنص الشعري لأنه أول بدايات الأدب النص الشعري الذي يمكن من خلالها الدخول رإلى معالم النص.

وكان لابد من وجود أسس نقدية سليمة في تناول المنهج السيميائي من شأنها أن تيسّر عملية الممارسة والتطبيق النقدي على النصوص الأدبية الشعرية القديمة على وجه الخصوص، وبذلك اهتمت الدراسات بتلقي النص الشعري القديم لتخلُص إلى نتائج هامة تتعلق بكيفية تعاملنا وتلقينا لتلك النصوص القديمة في ضوء المنهج السيميائي الذي كان محط اهتمام المشارقة والمغاربة على حدّ سواء.

تداخل وتباين المناهج النقدية

وبنزوع النقد صوب العلم جعله يتطور طبقا لتطور نظريات الأدب ذاتها من مرحلة المذهبية إلى مرحلة المنهجية. ومن الملاحظ أن هناك قدر من التداخل بين المناهج المختلفة لعدم وجود فواصل قاطعة فيما بينها، لكن هذا التداخل لا يؤدي بالضرورة إلى الاختلاط والتشويش لان هناك مناطق مشتركة يتعد لبها المنهج طبقا لكشوفها المتوالية.

إلى جانب التداخل هناك تباين وتخارج يتضحان في المقام الأول عند اختلاف الأسس المعرفية للمناهج المتعددة.

لكن مناطق التداخل أكثر شيوعا وانتشارا لان المناهج تعدل من حركتها في مسارها بمحاولة استخلاص العناصر الفعالة التي ما زالت قادرة على الاجابة المعدلة باستمرار عن أسئلة النظرية الأدبية وإدراجها في النسيج المنهجي الجديد.

وبعبارة أخرى على سبيل المثال أن الانتقال من المناهج التاريخية إلى مجموعة المناهج البنيوية وما بعدها قد تم في مرحلة محددة حاولت إنهاء أي أهمية لمجموعة المناهج التاريخية للانقلاب عليها وإحداث القطيعة مع الماضي، لكن هذا الأمر لم يستمر طولا حيث تبيّن فيما بعد أن المناهج التاريخية أخذت تستمد مقولاتها وتكّف نظرياتها، وتصنع مصطلحاتها الخاصة بها كي تنفُذ إلى قلب المنهج البنيوي لتستمد بعضا من تصوراتها لتضمها إلى جهازها النظري والإجرائي والاصطلاحي.

ولم تلبث البنيوية نفسها أن كانت في بدايتها شكلية بحتة مضادة للتاريخ أن تعدّل مقولاتها لتستبقي تلك العناصر التي ما زالت فاعلة ووظيفية وضرورية في نظرية الأدب التاريخية لتدرجها في نسقها الجديد فيما بعد البنيوية.

وهناك أمران ينبغي التأكيد عليهما في مجال طبيعة تداخل وتخارج المناهج النقدية كما أشار إلى ذلك صلاح فضل وهي كالآتي:

1-لا يمكن لهذا التداخل أن يتم في ظل تكامل مفتعل وملفق ولابد أن يتم بين عناصر قابلة للاتساق المعرفي شريطة ألا تكون متناقضة.

2-أنه يُوظف دائما لاستكمال الاجراءات التي تؤدي إلى نجاعة التحليل النقدي للظواهر الأدبية.

وعليه، فإن الشكل الكلي للمناهج النقدية يتجسد في منظومتين هما على النحو الآتي:

1-المنظومة التاريخية بتجلياتها المتعددة ولا تضم نظرية واحدة في الأدب، وإنما تحوي نظريات ومناهج عديدة.

2-منظومة البنيوية وما بعدها، وهذا هو المدخل الذي نستعرض منه خارطة المناهج النقدية المعاصرة.

(الرجاء العودة إلى كتاب مناهج النقد المعاصر ومصطحاته للدكتور صلاح فضل)